ALL !N مع جوردان إيزلي

لماذا تدعوني يا رب؟

أسئلة سألها يسوع | الجزء الثاني | لوقا ٦:٤٦

مقدمة

كل عام، يرتدي الناس أزياءً تنكّرية ويتظاهرون بأنهم أشخاصٌ ليسوا هم. في طفولتي، كان زيّي المفضّل هو «سوبرمان»: العباءة الحمراء، والبذلة الزرقاء، وحرف «S» الكبير. لليلةٍ واحدة كنت مقتنعًا أنني أستطيع الطيران، أقفز عن الأريكة وأركض في الفناء منقذًا أناسًا وهميّين من أخطارٍ وهميّة. لكن حين انتهت الليلة ونُزِع الزيّ، عدتُ أنا فقط، بلا عباءة، بلا قوى. في داخلي، لم أكن مَن تظاهرتُ به في الخارج. ومع الأسف، هكذا يعيش كثيرون روحيًّا. ننشأ ونحن نعرف كيف نرتدي «زيّ الأحد»: نعرف أن نبتسم، ونرنّم، ونقتبس الآيات، ونقول كل الكلام الصحيح؛ ثم حين تنتهي الخدمة وتخفت الموسيقى، نعود إلى حياتنا من الاثنين إلى السبت. كثيرون منا تعلّموا أن يبدوا بالمظهر دون أن يعيشوه.

وهذا ليس جديدًا. في العالم القديم، كانت التسلية تأتي عبر المسرح اليونانيّ، حيث كان الممثّلون يرتدون أقنعةً ضخمة ليعرف الجمهور أيّ شخصية يؤدّونها. الكلمة اليونانية لأولئك الممثّلين كانت هيبوكريتيس، «مَن يرتدي قناعًا»، ومنها تأتي كلمة «مُرائٍ». لذا حين دعا يسوع الناس مُرائين، تصوّر سامعوه شخصًا يؤدّي شخصيةً علنيّة لم تكن حقيقية في الخفاء. في لوقا ٦، بعد العظة على السهل، وبينما كان الألوف يتتبّعون كل حركةٍ له، توقّف يسوع، ونظر مباشرةً إلى قلوبهم، وسأل واحدًا من أنفذ الأسئلة في كل الكتاب المقدس: «وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ، وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟». لأنه ليس كل مَن يسمع يسوع يتبعه حقًّا؛ مجرّد الحضور لا يعني التكريس.

النقاط الرئيسية

١. لا تقُلها فحسب: عِشْها

«وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ، وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟» (لوقا ٦:٤٦). لم يكن يسوع يُدين، بل يواجه، داعيًا أتباعه أن ينظروا بصدق في المرآة ويسألوا: هل تتوافق كلماتي مع سلوكي؟ كلمة «رب» هي اليونانية كيريوس: سيّد، حاكم، صاحب سلطانٍ كامل. فأن تدعو يسوع «ربًّا» هو أن تسلّمه السيطرة: الحقّ في أن يقود، ويوجّه، ويحدّد ما هو صواب وخطأ في حياتنا. كما قال أحدهم: «إن لم يكن يسوع ربًّا على الكل، فهو ليس ربًّا البتّة».

لكن لنكن صادقين: هذا صعبٌ أن نعيشه. نريد بركاته دون حدوده، ومغفرته دون وصاياه؛ نريد أن نثق به بينما ما زلنا نمسك المِقود. إنها مشكلة الملصقات القديمة: الصحيحة في الخارج، والروح

الخطأ في الداخل. كثيرون منا يحبّون يسوع مخلّصًا، لكنهم يقاومون ربوبيته؛ ومع ذلك، فالربوبية الحقيقية تعني التسليم: طريقه يُقدَّم على طريقنا، وصوته يعلو على مشاعرنا. وهذا ليس أمرَ كمالٍ، بل أمرَ مواءمة. حين يكون يسوع ربًّا، ستُخطئ أيضًا، لكنك الآن تستجيب لتبكيت الروح، وتترك الخطيّة، وتوائم قلبك مع مشيئته. الإيمان لا يُثبَت بما تدّعيه، بل يُكشَف بما تختاره.

٢. لا تسمعها فحسب: ابنِ عليها

مباشرةً بعد السؤال، روى يسوع قصةً ليُظهر ما يعنيه: «كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلاَمِي وَيَعْمَلُ بِهِ... يُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتًا، وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ» (لوقا ٦: ٤٧-٤٨). اتّباع يسوع ليس شعورًا، بل أساس. كل الجمع عرف الصورة: بدا السطح صلبًا، لكنّ البنّاء الحكيم أخذ مجرفته وحفر حتى بلغ الصخر، بينما البنّاء الكسول رفع بيتًا سريعًا على أرضٍ ضحلة. الطاعة هي أن تحفر عميقًا—عبر الكبرياء، والخوف، والراحة—حتى تستقرّ حياتك عليه.

لدينا وصولٌ إلى الكتاب المقدس أكثر من أيِّ جيلٍ في التاريخ، لكنّ يسوع يقول إن السماع لا يكفي. قد تُلهمك الموعظة، لكنّ الطاعة وحدها هي ما يُثبّتك؛ ليس ما تعرفه هو ما يُرسّيك، بل ما تطيعه. وكقلعةٍ من البطانيات في غرفة الجلوس تبدو رائعة لعشر دقائق حتى يمرّ بها الكلب، تستطيع أن تبني سريعًا وسهلًا أو قويًّا وثابتًا، لكن ليس الاثنين معًا. الكلمة اليونانية وراء «حفر وعمّق» تعني الحفر بجهدٍ ومثابرة؛ ليس أمرًا برّاقًا، لكنه يستحقّ، لأن العواصف آتية: أمطار الخسارة، وسيول التجربة، ورياح خيبة الأمل. حين تُبنى حياتك على الطاعة، قد تنحني لكنك لن تنكسر: «فلمّا حدث سيل، لم يقدر أن يُزعزع ذلك البيت، لأنه كان مؤسَّسًا على الصخر».

٣. لا تبدُ قويًّا فحسب: اثبُتْ بقوّة

ثم يقدّم يسوع المقابل: «وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ، فَيُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دُونِ أَسَاسٍ، فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالاً، وَكَانَ خَرَابُ ذلِكَ الْبَيْتِ عَظِيمًا» (لوقا ٦:٤٩). البيت نفسه، والنهر نفسه، والعاصفة نفسها، ونتيجةٌ مختلفة تمامًا. هذا ليس في الحقيقة عن البناء، بل عن الالتزام. كلا البنّاءين سمعا الرسالة نفسها ونالا الفرصة نفسها، لكنّ واحدًا استجاب والآخر قاوم، والذي رفض أن يعمل سقط فجأةً، وتمامًا، دون تعافٍ. «كان الخراب عظيمًا» ليس غضبًا في صوت يسوع، بل انكسار قلب. هو لا يحاول أن يخيف سامعيه، بل يحاول أن ينقذهم.

الأمر أشبه بتركيب أثاثٍ مع تجاهل كتيّب التعليمات: يبدو جيّدًا لبعض الوقت، حتى تجلس عليه فيتمايل وينهار. لا تستطيع أن تتجاهل تعليمات البنّاء وتتوقّع أن يثبت البناء. لذا في العدد ٤٦، يقول يسوع في الحقيقة: «إن كنتُ ربًّا، فدعني أقود»: زواجك، وأولوياتك، وقراراتك، وعائلتك، وعملك، وردود فعلك حين تشتدّ الحياة. وحين تكفّ عن مجرّد دعوته «ربًّا» وتدعه فعلًا يقود، يأتي بالنظام حيث كان الفوضى، وبالسلام حيث كان الضغط، وبالقوّة حيث كان التذبذب. التسليم ليس ضعفًا، بل حكمة؛ والطاعة ليست أمرَ سيطرة، بل الثقة القائلة: «حياتي مبنيّة على ما هو أقوى منّي». في اللحظة التي تكفّ فيها عن مجرّد قول «يسوع رب» وتبدأ تثق به وتطيعه وتتبعه ربًّا، يصير السؤال الذي بكّتك يومًا هو السؤال الذي يُعرّفك، لأنك منذ تلك اللحظة، تصير حياتك هي الجواب.

أسئلة للتأمل

1. أين ترتدي «زيّ الأحد»—تقول الكلمات الصحيحة أو تبدو بالمظهر، بينما حياتك من الاثنين إلى السبت تروي قصةً مختلفة؟
2. يقول يسوع إن الطاعة هي أن «تحفر عميقًا» لتبني على الصخر. في أيِّ مجال كنتَ تسمع كلمته دون أن تعمل بها، وكيف سيبدو البناء عليها هذا الأسبوع؟
3. «إن كنتُ ربًّا، فدعني أقود». أيُّ غرفةٍ من حياتك—الزواج، المال، الأولويات، ردود الفعل—ظللتَ تمنعها عن قيادته، وهل أنت مستعدّ أن تسلّمه المِقود؟